تفسير سورة طه
مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى
اللقاء الرابع

المعنى الإجمالي: من الآية (24) إلى الآية (42):

يبينُ الله تعالى لموسى عليه السلامُ المقصود مِن تأييدِه بهاتين المعجزتين، فيقولُ آمرًا له: اذهبْ -يا موسَى- إلى فِرعَونَ؛ إنَّه قد تجاوَزَ قَدْرَه وتمرَّد على رَبِّه، فادْعُه إلى توحيدِ اللهِ وعبادتِه.

فسأل موسى عليه السلامُ المعونةَ مِن الله، ودعا قائلًا: ربِّ وسِّعْ لي صَدري، وسَهِّلْ لي القيامَ بشأنِ الرِّسالةِ، وأطلِقِ الانحِباسَ الشَّديدَ الذي في لساني؛ لِيُبينَ بفَصيحِ المنطِقِ فيَفهَم النَّاسُ كلامي، واجعَلْ لي مُعينًا مِن أهلي: هارونَ أخي، قَوِّني به وشُدَّ به ظَهري، وأشرِكْه معي في النبُوَّةِ وتبليغِ الرِّسالةِ؛ كي نصلِّيَ لك، ونُنَزِّهَك بالتَّسبيحِ كَثيرًا، ونَذكُرَك كثيرًا فنَحمَدَك ونُثني عليك؛ إنَّك كنتَ بنا بَصيرًا، لا يخفَى عليك شَيءٌ مِن أفعالِنا، فأجاب الله تعالى دعاءَه وقال له: قد أعطيتُك كُلَّ ما سألتَ يا موسى.

يقولُ الله تعالى مذكِّرًا موسى عليه السلامُ ببعضِ مِنَنِه عليه: ولقد أنعَمْنا عليك يا موسى -قبلَ هذه المرَّةِ- بنِعمةٍ أُخرى، حين كنتَ رَضيعًا، إذ ألهَمْنا أمَّك ما ألهمْناها مِن أمرٍ عظيمٍ يتعلَّقُ بنجاتِك، وهو أنْ تضَعَك في الصُّندوقِ، ثمَّ تَقذِفَك في النِّيلِ، وبأمرِنا وقدرتِنا يُلقيك النِّيلُ على الشَّاطئِ، فيأخُذُك فِرعَونُ الذي هو عدوِّي وعَدُوُّك، وأحببتُك، ووضعْتُ لك القَبولَ بينَ النَّاسِ، فصِرتَ بذلك مَحبوبًا بينهم، ولِتُرَبَّى على عيني وفي حِفظي.

ومِن مظاهِرِ هذه العنايةِ والحِفظِ والمنَّةِ عليك ما يجِبُ تذكُّرُه، وذلك حينَ كانت أختُك تمشي تتَّبِعُك ثمَّ تقولُ لِمَن أخذوك: هل أدلُّكم على مَن يكفُلُه، ويُرضِعُه لكم؟ فرَدَدْناك إلى أمِّك بعدما صِرْتَ في يدِ فِرعَونَ؛ كي تطيبَ نَفسُها بسَلامتِك، ولا تحزَنَ على فَقْدِك، وقتَلْتَ الرَّجُلَ القِبطيَّ خطأً، فنجَّيناك مِن الغمِّ، واختَبرناك اختبارًا بإيقاعِك في المحنِ، وتخليصِك منها، فخرَجْتَ خائِفًا إلى أهلِ «مَدْينَ»، فمَكَثْتَ سِنينَ فيهم، ثمَّ جِئْتَ إلى الوادِ المقَدَّسِ في الموعدِ الذي قدَّرناه لِمَنحِك النبوَّةَ، مجيئًا مُوافِقًا لقَدَرِ اللهِ وإرادتِه، وأنعَمْتُ عليك -يا مُوسى- بهذه النِّعَمِ الكثيرةِ؛ لتكونَ لي حبيبًا مختَصًّا، ورسولًا لتبليغِ رِسالتي.

يقولُ اللهُ تعالى مبينًا ما كلَّف به موسَى وهارونَ عليهما السلامُ: اذهَبْ -يا موسى- أنت وأخوك هارونُ بأدلَّتي ومُعجِزاتي الدالَّةِ على صِدقِكما، ولا تَضْعُفا عن ذِكري، بل داوما عليه.

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿43﴾

(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) أي: اذهَبا إلى فِرعَونَ؛ لأنه تمرَّدَ وتجاوَز الحَدَّ في الكفرِ والعِصيانِ، والتكَبُّرِ والعُدوانِ. موسوعة التفسير

والفائدةُ في إرسالِهما، والمبالَغةِ عليهما في الاجتهادِ، مع عِلْمِه بأنَّه لا يُؤمِنُ: إلْزامُ الحُجَّةِ وقطْعُ المعذرةِ. موسوعة التفسير

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿44﴾

(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) أي: فقُولا له عندَ دعوتِه إلى الله قولًا رقيقًا لطيفًا، لا غِلظةَ فيه، ولا تنفيرَ. موسوعة التفسير

قرأ رجل عند يحي بن معاذ (فقولا له قولًا لينًا)، فبكى وقال: هذا رفقك بمن قال: (أنا ربكم الأعلى)؛ فكيف بمن قال: سبحان ربي الأعلى؟ ماجد الغامدي

قولٌ لين لمن قال أنا ربكم الأعلى فما بالك بأهل بيتك وأحبتك أليسوا أجدر بلين الكلام وحسن المعاملة. إبراهيم العقيل

قال الرازي: إنَّه أُمِر باللينِ معَ هذا الكافرِ الجاحدِ؛ لأنَّه عليه السلامُ كان قد ربَّاه فِرعَونُ، فأمَره أن يخاطبَه بالرفقِ؛ رعايةً لتلك الحقوقِ، وهذا تنبيهٌ على نهايةِ تعظيمِ حقِّ الأبوينِ.

كما قال تعالى: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) [النازعات: 17 - 19].

(لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) أي: اذهَبا إلى فِرعَونَ وأنتما تَرجُوانِ بقَولِكما اللَّيِّنِ أن يتذكَّرَ ما هو غافِلٌ عنه مِن التَّوحيدِ الموافِقِ لِما في فطرتِه مِن العِلمِ الذي يَعرِفُ به رَبَّه، ويَعرِفُ إنعامَه عليه وإحسانَه إليه، وافتقارَه إليه، فيَدعُوَه ذلك إلى الإيمانِ باللهِ والرُّجوعِ عن ضلالِه؛ أو يخشى حُلولَ العَذابِ فيَترُكَ طغيانَه، ويُطيعَ ربَّه. موسوعة التفسير

دَلالةٌ على أنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ لا بُدَّ أنْ يكونَ بالحِكمةِ والرِّفقِ واللِّينِ، وأنَّه يستحبُّ إلانةُ القَولِ للظَّالمِ عند وَعظِه؛ لعلَّه يَرجِعُ، فإذا كان موسى أُمِرَ بأن يقولَ لفِرعونَ قولًا لَيِّنًا، فمَن دونَه أحرى بأن يَقتَدِيَ بذلك في خطابِه، وأمْرِه بالمعروفِ في كلامِه. وقد قال الله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: 83]، والدعوةُ إلى اللهِ كذلك يجبُ أن تكونَ بالرِّفقِ واللِّينِ، لا بالقَسوةِ والشِّدَّةِ والعُنفِ. موسوعة التفسير

قال الله تعالى لموسى وهارونَ: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) هذه الآيةُ فيها عِبرةٌ عظيمةٌ، وهي أنَّ فِرعَونَ في غايةِ العُتُوِّ والاستكبارِ، وموسى صَفوةُ اللهِ مِن خَلقِه إذ ذاك، ومع هذا أُمِرَ ألَّا يُخاطِبَ فِرعَونَ إلَّا بالملاطفةِ واللِّينِ، كما قال يزيدُ الرقاشيُّ عند قولِه: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا): (يا من يتحبَّبُ إلى مَن يُعاديه، فكيف بمن يتولَّاه ويُناديه؟!).

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿45﴾

(قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى) أي: قال موسى وهارونُ: ربَّنا إنَّنا نخافُ مِن فِرعونَ أن يعجِّلَ بعُقوبتِنا قبلَ أن نَدعُوَه إلى ما أمَرْتَنا به، أو أن يتكبَّرَ ويتمرَّدَ على طاعتِك. موسوعة التفسير

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿46﴾

(قَالَ لَا تَخَافَا) أي: قال اللهُ لهما: لا تخافَا مِن فِرعَونَ. موسوعة التفسير

أعظم ما يزيل الخوف من قلب المؤمن ... اعتقاده أن الله معه ... أن أعظم قوة في الوجود تحرسه. علي الفيفي

وليس المرادُ منه النهيَ عن الخوفِ؛ لأنَّه من حيثُ كونُه أمرًا طبيعيًّا لا مدخلَ للاختيارِ فيه، لا يدخلُ تحت التكليف ثبوتًا وانتفاءً، بل المرادُ به التسلِّي بوعدِ الحفظِ والنصرةِ، كما يدلُّ عليه قوله: إِنَّنِي مَعَكُمَا بكمالِ الحفظِ والنُّصرةِ، فالخوفُ الطبيعيُّ مِن الخلقِ، لا ينافي الإيمانَ، ولا يُزيلُه، والخوفُ من الأعداءِ سُنَّةُ اللهِ في أنبيائِه وأوليائِه معَ معرفتِهم به، وثِقَتِهم. موسوعة التفسير

(إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) أي: إنَّني معكما بالنَّصرِ والإعانةِ والحِفظِ والتَّأييدِ، أسمَعُ كلامَكما وكلامَ فِرعَونَ، وأراكم وأرى أفعالَكم وأحوالَكم جميعًا؛ فاطمَئِنَّا ولا تخافا منه. موسوعة التفسير

المعيَّةُ نوعانِ: ❁مَعيَّةٌ عامَّةٌ: تقتضي الإحاطةَ بالخَلقِ عِلمًا وقُدرةً، وسَمعًا وبَصَرًا، وسُلطانًا وتدبيرًا، وغيرَ ذلك مِن معاني رُبوبيَّتِه، كقولِه تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) [الحديد: 4]

❁ومعيَّةٌ خاصَّةٌ: قد خُصَّت بشَخصٍ أو وَصفٍ، فهي تقتضي -مع ما سبَقَ- النَّصرَ والتأييدَ، والتَّوفيقَ والتَّسديدَ. مِثالُ المخصوصةِ بشَخصٍ: قَولُه تعالى لموسى وهارونَ: (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)، وقَولُه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التوبة: 40].

زادهم مع المعية تذكيرهم بسمعه ورؤيته، حين تخاف وترتجف تذكر أن ربك الرحيم، يرى رعشتك ويسمع وجيف قلبك. عبد الله بلقاسم

بدأ بالسمع لأنه غاية الإهتمام لأنك قد تجد من يتبرم من حروفك! فلا تحزن فالله يسمعك وسيجبر بخاطرك. اشراقة آية إذا استشعرت وجود الله ﷻ معك، اطمأن قلبك، وتبدد حزنك، وزالَ همّك، وكُشف غمّك. ناصر القطامي

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ﴿47﴾

(فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) أي: فاذهَبا إلى فِرعَونَ فقولا له: إنَّا رَسولانِ إليك مِن رَبِّك الذي خلَقَك وربَّاك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: 16، 17].

(فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) أي: فأطلِقْ بني إسرائيلَ لِيذهَبوا معنا، ولا تُعَذِّبْهم باستعبادِهم، وتَذبيحِهم، وتكليفِهم الأعمالَ الشاقَّةَ. موسوعة التفسير

(قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ) أي: قد أتيناك بمعجزةٍ من ربِّك تدلُّ على صِدقِنا. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (قولُه تعالى في هذه الآيةِ الكريمةِ: قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ يرادُ به جنسُ الآيةِ الصَّادِقُ بالعصا واليد وغيرِهما؛ لدَلالةِ آياتٍ أُخَرَ على ذلك). ((أضواء البيان))

كما قال تعالى: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) [الشعراء: 30 - 33].

(وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) أي: والسَّلامةُ مِن سَخَطِ الله وعذابِه في الدُّنيا والآخرةِ لِمن اتَّبَعَ هدى اللهِ الَّذي شرَعَه لعبادِه. موسوعة التفسير

الذي يريد الأمان يفر الى الله يلوذ بحماه يتبع نهجه، يزجر نفسه عن كل ما يغضب مولاه، هنا يكون في حفظ الله. مها العنزي

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿48﴾

(إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أي: إنَّا قد أوحَى اللهُ إلينا أنَّ عذابَه في الدُّنيا والآخرةِ على من كذَّب بالحَقِّ، فلم يؤمِنْ باللهِ وما جاءَتْ به رسُلُه، وأعرَض عن اتِّباعِ الحَقِّ، وطاعةِ اللهِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى) [الليل: 14-16].

وقال سُبحانَه: (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) [القيامة: 31 - 35].

قال ابن القيم: فتأمَّلْ حُسنَ سِياقِ هذه الجُمَلِ، وترتيبَ هذا الخِطابِ، ولُطفَ هذا القَولِ اللَّيِّنِ الذي سلَبَ القُلوبَ حُسنُه وحلاوتُه، مع جلالتِه وعَظَمتِه؛ كيف ابتدأ الخِطابَ بقَولِه: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ وفي ضِمنِ ذلك: إنَّا لم نأتِك لِنُنازِعَك مُلكَك، ولا لِنَشرَكَك فيه، بل نحن عبدانِ مأموران مُرسَلانِ مِن

رَبّك إليك. وفي إضافةِ اسمِ الرَّبِّ إليه هنا دونَ إضافتِه إليهما استِدعاءٌ لِسَمعِه وطاعتِه وقَبولِه، كما يقولُ الرَّسولُ للرَّجُلِ مِن عِندِ مَولاه: أنا رَسولُ مَولاك إليك وأستاذِك، وإن كان أستاذَهما معًا، ولكن ينَبِّهُه بإضافتِه إليه على السَّمعِ والطَّاعةِ له.

ثمَّ إنَّهما طَلَبا منه أن يُرسِلَ معهما بني إسرائيلَ، ويُخَلِّيَ بينهم وبينهما ولا يُعَذِّبَهم، ومن طلَبَ مِن غَيرِه تَركَ العُدوانِ والظُّلمِ وتَعذيبِ مَن لا يَستَحِقُّ العذابَ، فلم يَطلُبْ منه شَطَطًا، ولم يُرهِقْه من أمرِه عُسرًا، بل طلبَ منه غايةَ النَّصَفِ.

ثمَّ أخبرَه بعد الطَّلَبِ بثلاثةِ إخباراتٍ: أحَدُها: قَولُه تعالى: قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ؛ فقد بَرِئْنا مِن عُهدةِ نِسبَتِك لنا إلى التقَوُّلِ والافتراءِ، بما جئناك به مِنَ البُرهانِ والدَّلالةِ الواضِحةِ، فقد قامت الحُجَّةُ، ثمَّ بعدَ ذلك للمُرسَلِ إليه حالتانِ: إمَّا أن يَسمَعَ ويُطيعَ فيكونَ مِن أهلِ الهُدى، والسَّلامُ على مَن اتَّبَع الهُدى، وإمَّا أن يُكَذِّبَ ويتولَّى، فالعذابُ على مَن كذَّب وتولَّى؛ فجَمَعَت الآيةُ طَلَبَ الإنصافِ، وإقامةَ الحُجَّةِ، وبيانَ ما يَستحِقُّ السَّامِعُ المطيعُ، وما يَستَحِقُّه المكَذِّبُ المتولِّي؛ بألطَفِ خطابٍ، وأليقِ قَولٍ، وأبلغِ ترغيبٍ وترهيبٍ.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ﴿49﴾

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) أي: فلمَّا أتَى موسَى وهارونُ إلى فِرعَونَ، وكلَّماه بما أمَرَهما الله، قال فِرعَونُ: فمَنْ ربُّكما الذي تعبُدانِه -يا موسى- وتَزعُمانِ أنَّه أرسَلَكما إليَّ. موسوعة التفسير

ما سبب إعراض فرعون عن أن يقول: فمن ربي؟ إلى قوله: (فمن ربكما)؟

❍إعراضاً عن الاعتراف بأن له رب ولو بحكاية قولهما.❍لئلا يقع ذلك في سمع أتباعه وقومه، فيحسبوا أنه متردد في معرفة ربّه، أو أنه اعترف بأنّ له ربّاً. التحرير والتنوير

كما قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الشعراء: 23].

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾﴿50﴾

(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) أي: قال موسى: ربُّنا الذي أعطى كلَّ مخلوقٍ صُورتَه التي تميِّزُه، وشَكلَه الذي يناسِبُه، وأعطى كلَّ ذكَرٍ وأنثَى الشَّكلَ المناسِبَ له من جِنسِه في المناكحةِ، والأُلفةِ والاجتِماعِ، وأعطاهم كلَّ ما يحتاجونَه، ثمَّ هدى كلَّ مخلوقٍ إلى تحصيلِ مَنافِعِه، والحَذَرِ مِن مضارِّه. موسوعة التفسير

وقال ابنُ القَيِّم: (أي: أعطى كلَّ شَيءٍ صُورتَه التي لا يَشتَبِهُ فيها بغيرِه، وأعطى كلَّ عُضوٍ شَكلَه وهَيئتَه، وأعطى كُلَّ موجودٍ خَلْقَه المختَصَّ به، ثمَّ هداه إلى ما خَلَقَه له من الأعمالِ، وهذه هدايةُ الحيوانِ المتحَرِّك بإرادتِه إلى جَلبِ ما ينفَعُه، ودَفعِ ما يضُرُّه، وهدايةُ الجَمادِ المسَخَّر لما خُلِقَ له، فله هدايةٌ تليقُ به كما أنَّ لكُلِّ نَوعٍ مِن الحيوانِ هِدايةً تليقُ به، وإن اختَلَفَت أنواعُها وصُوَرُها، وكذلك كُلُّ عُضوٍ له هِدايةٌ تَليقُ به؛ فهدى الرِّجلينِ للمَشي، واليدينِ للبَطشِ والعَمَل، واللِّسانَ للكلام، والأُذُنَ للاستِماعِ، والعينَ

لِكَشفِ المرئيَّات، وكلَّ عُضوٍ لما خُلِق له، وهدى الزَّوجينِ مِن كُلِّ حَيوانٍ إلى الازدواجِ والتناسُلِ وتربيةِ الولد، وهدى الولدَ إلى التقامِ الثَّديِ عند وَضعِه، وطَلَبِه، ومراتِبُ هدايتِه سُبحانَه لا يُحصيها إلَّا هو، فتباركَ اللهُ رَبُّ العالمينَ!).

كما قال تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) [السجدة: 7].

وقال سُبحانه:(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) [الأعلى: 2، 3].

قال اللهُ تعالى: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) جمع جلَّ وعلا في هذه الآيةِ بين الخَلقِ والهِدايةِ، وهو سُبحانَه في القرآنِ كثيرًا ما يجمَعُ بينهما، كقَولِه: (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [الرحمن: 1-4]، وقوله: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) [البلد: 8-11]، فالخَلقُ إعطاءُ الوجودِ العينيِّ الخارجيِّ، والهُدى إعطاءُ الوجودِ العلميِّ الذِّهنيِّ؛ فهذا خَلقُه، وهذا هُداه وتَعليمُه. موسوعة التفسير

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾﴿51﴾

(قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) أي: قال فِرعَونُ: فما شأنُ القُرونِ الماضيةِ مِن قَبلِنا، الذين لم يؤمِنْ أهلُها باللهِ، وعَبَدوا غَيرَه؟ فلو كان ما تقولُه حَقًّا، لم يَخْفَ على القُرونِ الأُولى ولم يُهمِلوه. موسوعة التفسير

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾﴿52﴾

(قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ) أي: قال له موسى: عِلمُ القُرونِ الماضيةِ وأعمالُ أهلِها كُلُّها مكتوبةٌ عندَ رَبِّي في اللَّوحِ المحفوظِ، فهم إنْ لم يُؤمِنوا باللهِ ويَعبُدوه وَحدَه، فسيُجازيهم على ذلك ولا علمَ لي بهم. موسوعة التفسير

قال ابن جرير: (فإن كان عَذَّب تلك القرونَ في عاجلٍ، وعَجَّل هلاكَها؛ فالصَّوابُ ما فعَلَ، وإن كان أخَّرَ عِقابَها إلى القيامةِ، فالحَقُّ ما فَعَل؛ هو أعلَمُ بما يَفعَلُ، لا يُخطِئُ رَبِّي).

(لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) أي: لا يَشِذُّ عن عِلمِ رَبِّي شَيءٌ، ولا يفوتُه صَغيرٌ ولا كبيرٌ، ولا ينسَى شيئًا، فلا يُخطِئُ في أفعالِه وتدبيرِ خَلقِه، ولا ينسى شيئًا مِن أعمالِ عبادِه وأحوالِهم وأخبارِهم، ولا يَترُكُ فِعلَ ما هو حِكمةٌ وصَوابٌ. موسوعة التفسير

لِكمالِ عِلمِه وحِفظِه، فهو يَصِفُ علمَه تعالى بأنَّه بكُلِّ شَيءٍ مُحيطٌ، وأنَّه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدَّس، فإنَّ عِلمَ المخلوقِ يَعتريه نُقصانانِ: أحدُهما: عدَمُ الإحاطةِ بالشَّيءِ، والآخَرُ: نسيانُه بعد عِلمِه، فنَزَّه نفسَه عن ذلك.

- اجعل همك لله وبالله، ولا يكن همك منصبا على حصد ألقاب وسبق إحصاءات فكل ذلك زائل ينسى، والتفت إلى الذي يحصي ولا ينسى. سعود الشريم
- غاب الإنصاف عنك! قل كما قال موسى الكليم (لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى). روائع القرآن

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿53﴾

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) أي: اللهُ الذي جعَل لكم الأرضَ مُمَهَّدةً تَسكُنونَ عليها، وتستَقِرُّونَ بها، وتَمشونَ وتُسافِرونَ على ظَهرِها، وتتمكَّنونَ مِن زَرعِها وغَرسِها، والبناءِ عليها وغيرِ ذلك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا) [البقرة: 22].

وقال سُبحانه: (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) [الذاريات: 48].

وقال تبارك وتعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) [النبأ: 6].

(وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) أي: وجعل اللهُ لأجْلِكم في الأرضِ بينَ أوديَتِها وجِبالِها طُرُقًا كثيرةً تَمشونَ فيها. موسوعة التفسير

(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى)

مناسبتُها لما قبلَها: لَمَّا ذَكَر مِنَّةَ خَلْقِ الأرضِ؛ شَفَعها بمِنَّةِ إخراجِ النَّباتِ منها بما ينزِلُ عليها مِن السَّماءِ مِن ماءٍ، فقال تعالى:

(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) أي: وأنزل اللهُ من السَّماءِ مَطرًا. موسوعة التفسير

(فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى) أي: فأخرَجْنا بسَبَبِ المطَرِ أصنافًا من النَّباتاتِ المختلفةِ الألوانِ، والأشكالِ، والرَّوائِحِ، والطُّعومِ، والمنافِعِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: 99].

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ﴿54﴾

(كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ) أي: كلُوا -أيُّها النَّاسُ- مِن طَيِّبِ ما أنبَتْنا لكم من الأرضِ مِن الحُبوبِ والثِّمارِ، وارعَوا فيها إبِلَكم وبَقَرَكم وغنَمَكم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى:(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)[النحل: 10].

وقال سُبحانَه: (أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) [السجدة: 27].

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) أي: إنَّ في ذلك لَعَلاماتٍ لأُولي العُقولِ تدُلُّهم على وحدانيَّةِ اللهِ، وقُدرتِه، ورَحمتِه، وأنَّه المستَحِقُّ للعبادةِ وَحدَه لا شريكَ له. موسوعة التفسير

❁لِأُولِي النُّهَى: أي: لأصحابِ العُقولِ. وواحِدُ النُّهى نُهيَةٌ؛ سمِّيَ بذلك لأنَّه يُنتهَى به عن القَبائِحِ، وأصلُه يدُلُّ على الحَبسِ. موسوعة التفسير

❁وتَخصيصُ كونِها آياتٍ بأُولي النُّهَى -مع أنَّها آياتٌ للعالمينَ- باعتبارِ أنَّهم المنتفِعونَ بها.

واسمُ الإشارةِ ذَلِكَ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من شُؤونِه تعالى وأفعالِه، وما فيه مِن معنى البُعدِ؛ للإيذانِ بعُلوِّ رُتْبتِه، وبُعْدِ مَنزلتِه في الكَمالِ.

وتَنكيرُ لَآيَاتٍ؛ للتَّفخيمِ كمًّا وكَيفًا، أي: لآياتٍ كثيرةً جَليلةً، واضحةَ الدَّلالةِ على شُؤونِ اللهِ تعالى في ذاتِه وصِفاتِه وأفعالِه، وعلى صِحَّةِ نُبوَّةِ مُوسى وهارونَ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ. موسوعة التفسير

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿55﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: لَمَّا ذكَرَ اللهُ سُبحانَه منافِعَ الأرضِ والسَّماءِ؛ بيَّنَ أنَّها غيرُ مَطلوبةٍ لِذاتِها، بل هي مطلوبةٌ لِكَونِها وسائِلَ إلى منافِعِ الآخرةِ.

وأيضًا لَمَّا ذكَرَ كَرَمَ الأرضِ، وحُسْنَ شُكرِها؛ لِما يُنزِلُه الله عليها مِنَ المطرِ، وأنَّها بإذنِ رَبِّها تُخرِجُ النَّباتَ المختَلِفَ الأنواعِ؛ أخبَرَ أنَّه خلَقَنا منها، فقال:

(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ) أي: مِن تُرابِ الأرضِ خَلَقْنا -أيُّها النَّاسُ- أباكم آدَمَ الذي هو أصلُكم، وأنتم ذريَّتُه. موسوعة التفسير

وقال سُبحانَه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ) [الحج: 5].

وقال عزَّ مِن قائلٍ: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) [السجدة: 7- 8].

قال ابن عثيمين رحمه الله: لذلك كان بنو آدمَ كالأرضِ تمامًا: فيهم الحَزْنُ الصُّلْبُ الشَّديدُ، وفيهم السَّهْلُ، وفيهم ما بينَ ذلك، وفيهم الأبيضُ، وفيهم الأحمرُ، وفيهم الأسودُ؛ لأنَّ الأراضيَ تختَلِفُ هكذا.

(وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) أي: وفي الأرضِ نُعيدُكم بعدَ مَوتِكم، وتَصيرونَ تُرابًا في قُبورِكم، كما كنتُم قبل إنشائِنا لكم بشرًا سَوِيًّا. موسوعة التفسير

نصيحة كن متواضعا، لأنك مهما ملكت، ومهما علوت ومهما تكبرت فيبقى أصلك من تراب، وإليه ستعود !!. مها العنزي

(وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) أي: ومِن الأرضِ نَبعَثُكم أحياءً مرَّةً أُخرَى، كما كنتُم قَبلَ مَماتِكم أحياءً، فنُنشِئُكم منها كما أنشَأناكم أوَّلَ مَرَّةٍ، فتَخرُجونَ منها يومَ القيامةِ للحِسابِ والجَزاءِ. موسوعة التفسير

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ ﴿56﴾

(وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا) أي: ولقد أرَيْنا فِرعَونَ جميعَ مُعجِزاتِنا الدالَّةِ على نبوَّةِ موسى، وصِحَّةِ ما يدعو إليه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) [الزخرف: 46-50].

❍قولُه: وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فيه التَصديرُ بالقسَمِ؛ لإبرازِ كَمالِ العنايةِ بمَضمونِها. وإسنادُ الإراءةِ إلى نُونِ العظمةِ؛ لتَهويلِ أمْرِ الآياتِ، وتَفخيمِ شأْنِها، وإظهارِ كَمالِ شَناعةِ اللَّعينِ وتَماديهِ في المكابَرةِ والعنادِ. وفيه تأكيدُ الكلامِ بلامِ القسَمِ، و(قد) مُستعمَلٌ في التَّعجُّبِ مِن تصلُّبِ فِرعونَ في عنادٍ. وتأكيدُ الآياتِ بأداةِ التَّوكيدِ كُلَّهَا؛ لزِيادةِ التَّعجيبِ مِن عِنادِه. موسوعة التفسير

(فَكَذَّبَ وَأَبَى) أي: فكذَّب فِرعَونُ بآياتِ اللهِ، ولم يَقبَلْ ما جاء به موسى وهارونُ مِن تَوحيدِ اللهِ وطاعتِه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى:(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) [النمل: 14].

وقال سُبحانَه:(وَلَقَدْ جَاءَ آَلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) [القمر: 41، 42].

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿57﴾

(قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) أي: قال فِرعَونُ: هل جِئتَنا لِتُخرِجَنا مِن دُورِنا ومَنازِلِنا في مِصرَ، وتستوليَ عليها بسِحرِك يا موسى. موسوعة التفسير

قال السعدي: قال الله تعالى حِكايةً عن فِرعَونَ: أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ زعم أنَّ هذه الآياتِ التي أراه إيَّاها موسى سِحرٌ وتمويهٌ، المقصودُ منها إخراجُهم مِن أرضِهم، والاستيلاءُ عليها؛ ليكونَ كلامُه مُؤَثِّرًا في قلوبِ قَومِه؛ فإنَّ الطِّباعَ تَميلُ إلى أوطانِها، ويَصعُبُ عليها الخروجُ منها ومُفارقتُها، فأخبَرَهم أنَّ موسى هذا قَصدُه؛ لِيُبغِضوه ويَسْعَوا في محاربتِه.

❍الكارهون لأهل النصح والحق لا يكتفون بصدودهم عنهم، بل يحرضون عليهم بالتهم لتسويغ أي عقوبة تنالهم. إذا ضاق أهل الباطل بأهل الحق رموهم بتهمة تبرر للعامة وسيلتهم المحرمة لمحاربته. سعود الشريم

قال البقاعي: هذا كلامُ فِرعَونَ الذي زَوَّقه وصَنَّعه ونَمَّقه، فأوقف به قَومَه عن السَّعادةِ، واستمَرَّ يقودُهم بأمثالِه، حتى أوردَهم البَحرَ فأغرَقَهم، ثمَّ في غمراتِ النَّارِ أحرَقَهم؛ فعلى الكَيِّسِ الفَطِنِ أن ينقُدَ الأقوالَ والأفعالَ، والخواطِرَ والأحوالَ، ويَعرِضَها على محَكِّ الشَّرعِ: الكتابِ والسُّنَّةِ، فما وافَقَ لَزِمَه، وما لا تركَه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾﴿58﴾

(فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ) أي: لكنَّ مرادَكَ هذا لن يتحَقَّقَ يا موسى؛ فلَنُعارِضَنَّك بسِحرٍ مِثلِ سِحرِك، بواسِطةِ سَحَرتِنا الذين نُحضِرُهم إلينا. موسوعة التفسير

(فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ) أي: فحدِّدْ بيننا وبينك وَقتًا معيَّنًا ومَكانًا محدَّدًا نجتَمِعُ فيه، فننظُرُ أيُّنا يغلِبُ الآخَرَ، ولا نَقعُدُ نحن ولا أنت عن إتيانِ ذلك الموعِدِ. موسوعة التفسير

(مَكَانًا سُوًى) أي: في مكانٍ وَسَطٍ. موسوعة التفسير

وقيل: المرادُ: في مكانٍ وسَطَ البلدِ؛ ليتمكَّنَ جميعُ النَّاسِ من الحضور.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾﴿59﴾

(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) أي: قال موسى: مَوعِدُكم هو اليَومُ المخصَّصُ لاجتِماعِ النَّاسِ فيه، وتَزَيُّنِهم وتفَرُّغِهم مِن أعمالِهم، في المكانِ المعتادِ لذلك. موسوعة التفسير

وقال الشنقيطي:(أقوالُ أهلِ العلم في يومِ الزينةِ راجعةٌ إلى أنَّه يومٌ معروف لهم، يجتَمِعونَ فيه ويتزَيَّنونَ. سواءٌ قلنا: إنَّه يومُ عيدٍ لهم، أو يومُ عاشوراءَ، أو يومُ النيروز، أو يومٌ كانوا يتَّخِذونَ فيه سوقًا ويتزَيَّنون فيه بأنواعِ الزينةِ). ((أضواء البيان))

(وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) أي: وأن يُساقَ جَميعُ النَّاسِ مِن كلِّ ناحيةٍ لِحُضورِ اجتِماعِنا في وقتِ الضُّحَى. موسوعة التفسير

إنما واعَدَهم ذلك اليومَ لِيَكونَ عُلُوُّ كلمةِ الله، وظُهورُ دينِه، وكَبتُ الكافِرِ، وزهوقُ الباطِلِ: على رؤوسِ الأشهادِ، وفي المجمَعِ الغاصِّ؛ لِتَقوى رغبةُ مَن رَغِبَ في الحَقِّ، ويَكِلَّ حَدُّ المبطِلينَ وأشياعِهم، ويَكثُرَ المحَدِّثُ بذلك الأمرِ العَلَمِ في كلِّ بَدْوٍ وحَضَرٍ، ويَشيعَ في جَمعِ أهلِ الوَبَرِ والمدَرِ؛ لأنَّ يوم الزينةِ ووقتَ الضحى يحصلُ فيه مِن كثرةِ الاجتماعِ، ورؤيةِ الأشياءِ على حقائقِها، ما لا يحصلُ في غيره، فيكون أظهرَ وأجلَى، وأبينَ وأوضحَ.

الواثق من صدق نهجه لا يهمه مواجهة الناس وعرض ما لديه، بل انه يسعى لذلك ويطلبه ولا يتهرب منه. مها العنزي

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ ﴿60﴾

(فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى) أي: فتولَّى فِرعَونُ، وشرَعَ يجمَعُ السَّحَرةَ مِن المدائِنِ، ثمَّ جاء لموعِدِ يومِ الزِّينةِ. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: انصرف ليجمَعَ السَّحرةَ ويهيئَ ما يريدُ من الكيد.

كما قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) [يونس: 79].

وقال سُبحانَه:(قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [الشعراء: 36 - 42].

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾﴿61﴾

(قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) أي: قال موسى للسَّحَرةِ: ويلَكم! لا تختَلِقوا كَذبًا على اللهِ؛ فيَستأصِلَكم بهلاكٍ وعذابٍ مِن عِندِه. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: لا تخَيِّلوا للنَّاسِ بأعمالِكم إيجادَ أشياءَ لا حقائِقَ لها، وأنَّها مخلوقةٌ وليست مخلوقةً؛ فتكونوا قد كذبتُم على الله.

(وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) أي: وقد فات ما رجاه وطَلَبه وأمَّلَه مِن وراءِ كَذِبِه على اللهِ: مَن فَعَل ذلك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) [يونس: 69، 70].

وقال سُبحانَه: (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النحل: 116، 117].

مهما كانت صرختك صادقة ورافضة للباطل فقد لا تجد لها أذن صاغية عند من طمس الله قلوبهم. مها العنزي

المفتري الظالم للناس هو بالحقيقة يجرم بحق نفسه قبل ان يجرم بحق الناس فالظالم لا يوفق وسيخيب الله سعيه. مها العنزي

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾﴿62﴾

(فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) أي: فلمَّا سَمِعَ السَّحَرةُ كلامَ موسى اختَلَفوا، وتجاذَبوا الحديثَ سِرًّا فيما بينَهم، وبالَغوا في إخفائِه مِن فِرعَونَ. موسوعة التفسير

قال القرطبي: (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قال قتادةُ: قالوا: إن كان ما جاء به سحرًا فسنغلبُه، وإن كان مِن عندِ الله فسيكون له أمرٌ، وهذا الذي أسرُّوه. وقيل: الذي أسرُّوا قولُهم: إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ [طه: 63] الآيات، قاله السديُّ ومقاتلٌ. وقيل: الذي أسرُّوا قولُهم: إن غلَبَنا اتَّبعْناه، قاله الكلبيُّ، دليلُه ما ظهر مِن عاقبةِ أمرِهم. وقيل: كان سرُّهم أن قالوا حين قال لهم موسَى: وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا [طه: 61]: ما هذا بقولِ ساحرٍ). ((تفسير القرطبي))

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾﴿63﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى ما أسَرُّوه مِن النَّجوَى؛ حكَى عنهم ما أظهَروه، ومجموعُه يدُلُّ على التَّنفيرِ عن موسى -عليه السَّلامُ- ومتابعةِ دينِه.

(قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) أي: قال السَّحرةُ: ما موسى وهارونُ إلَّا ساحرانِ. موسوعة التفسير

(يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا) أي: يريدُ موسى وهارونُ أن يُخرِجاكم مِن وطَنِكم؛ أرضِ مِصرَ، بالاستيلاءِ عليها بسِحرِهما الذي أظهراه. موسوعة التفسير

قال ابنُ كثير: (يُرِيدانِ في هذا اليومِ أنْ يَغْلِباكم وقومَكم ويَسْتوليا على النَّاسِ، وتتبَعَهما العامَّةُ، ويُقاتِلا فرعونَ وجنودَه، فينتَصِرا عليه ويُخْرِجاكم مِن أرضِكم).

(وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) ويَذْهبا بدينِكم وشريعتِكم ومذهبِكم الذي هو أفضلُ المذاهبِ، بإظهارِ مذهبِهما، وإعلاءِ دينِهما. موسوعة التفسير

وقال البقاعي: (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ هذه السِّحريةِ التي تَعِبتُم في تمهيدِها، وأفنى فيها أسلافُكم أعمارَهم، حتى بلغ أمرُها الغايةَ؛ وبدينِكم الذي به قِوامُكم).

كما قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) [غافر: 26].

❍تهييج الجماهير ضد الدعاة بحجة زعزعة الأمن! علي الفيفي

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ ﴿64﴾

(فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) أي: قال السَّحَرةُ بعضُهم لبعضٍ: فاجتَهِدوا في إحكامِ سحرِكم، واعزِموا كُلُّكم على كيدِ موسى، ثمَّ احضُروا مُجتَمِعينَ في صَفٍّ. موسوعة التفسير

(وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) أي: وقد فاز اليومَ بمَطلوبِه مَن غلَبَ خَصْمَه، وقَهَره. موسوعة التفسير

(فَجَمَعَ كَيْدَهُ) وقال فرعون (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) إذا أراد الله (إزالة) باطل جمعه جمعاً يخيف المؤمن ويفرح الكافر ثم يكون ما يريد. عقيل الشمري

قال ابن عثيمين رحمه الله: موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ جُمِع له السَّحَرةُ المهَرةُ الذين وَضَعوا العِصِيَّ والحِبالَ، فكانت هذه العِصِيُّ والحِبالُ يُخَيَّلُ إلى النَّاسِ أنَّها حيَّاتٌ تسعى، حتى موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع إيمانِه وقُوَّتِه أوجس في نفسِه خِيفةً! لكِنَّه قال لهم: وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى هذه الكَلِمةُ أثَّرت تأثيرًا عظيمًا فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ، وإذا حصل النِّزاعُ حَصَل الفَشَلُ؛ قال الله تعالى: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال: 46]. تنازعوا أمرَهم بينهم، وأخيرًا آمَنَ السَّحَرةُ! فكَلِمةُ الحَقِّ تؤثِّرُ إذا صدرت من إنسانٍ مُخلِصٍ، لا يريدُ أن يَفرِضَ قَولَه على غيرِه، إنَّما يريدُ أن يهديَ غَيرَه للحَقِّ الذي هو مرادُ الجميعِ؛ فإنَّه سيُؤَثِّرُ بإذنِ اللهِ عزَّ وجَلَّ؛ ولهذا لا تَحقِرَنَّ كَلِمةَ الحَقِّ، ولا تَقُلْ: إنَّها لا تنفَعُ؛ فما من قلبٍ مِن قلوبِ بني آدَمَ إلَّا وهو بين إصبَعينِ مِن أصابعِ الرَّحمنِ يُقَلِّبُه كيف يشاءُ.

❍أرسل كلماتك الناصحة إن لم تغير خصومك هزت أعماقهم وأضعفت اجتماعهم على باطلهم. د. عبد الله بلقاسم